ملخص عن كتاب
«المفتي القسنطيني والمصلح الاجتماعي
الشيخ المولود بن الموهوب» [1]

إعداد أ.د. كمال لدرع
كلية الشريعة والاقتصاد
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة الجزائر

مقدمة:

الشيخ المولود بن الموهوب أحد الأعلام القسنطينيين، ومن رجال الإصلاح الجزائريين البارزين الذين كان لهم الأثر الطيب في تطور الحركة الإصلاحية في الجزائر، والفضل في انتشار الوعي بالقضية الوطنية، ومحاربة البدع والخرافات والأفكار المشوهة للدين الإسلامي، والجميل في تكوين جيل من النخب الوطنية التي وقفت بالمرصاد لموجات التفرنس والمسخ وطمس الهوية وتحريف الدين التي هددت كيان المجتمع الجزائري.

يتميز الشيخ المولود بن الموهوب بتعدد المواهب والمهام بين الإفتاء والتدريس والخطابة والصحافة، وهو يستحق المزيد من الدراسات والأبحاث التي تبرز جهده وعمله، وترفع عنه التشويه لبعض مواقفه حتى يأخذ مكانه ضمن نخب الحركة الإصلاحية الني قاومت الاستعمار الفرنسي بأساليب مختلفة - كل حسب اجتهاده - من أجل إنقاذ المجتمع الجزائري المهدد في عمقه وشخصيته من قبل المشروع الفرنسي الذي كان يسير بطريقة مدروسة ووفق أهداف مسطرة.

1 - هذا المقال هو فصل من كتاب من أعلام قسنطينة سيصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف في إطار تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015.

وإذا كان أحد كبار الباحثين وهو شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله قد تطرق إلى جوانب عديدة من حياة الرجل الشخصية والعلمية والإصلاحية، فإن ذلك يكون مادة مهمة لمواصلة البحث حول هذه الشخصية الوطنية.

وهذه محاولة لإبراز جوانب من حياة الشيخ المصلح والمربي والمفتي المولود بن الموهوب معتمدين على ما توفر لدينا من مصادر ومراجع مخطوطة ومطبوعة.

الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي:

عمل الاستعمار الفرنسي مباشرة بعد احتلاله للجزائر على طمس مقومات المجتمع الجزائري، وتشويه معالمه الدينية، وتغيير شخصيته وهويته الوطنية فبعد نجاحه في القضاء على السلطة الحاكمة والسيطرة على الأرض، سعى وفق مخطط مدروس إلى إقامة مشروع مجتمع جديد يحقق تغييرا جذريا لكيان المجتمع الجزائري، ويشويه صورته، ويفصله عن تاريخه وحضارته الإسلامية فاستهدف الأسرة والعرش والعلاقات الاجتماعية عبر تشريعات قانونية وممارسات تعسفية لينسلخ من أصالته وهويته، وقطع كل الروافد التي تشد المجتمع إلى دينه وتعين على تماسكه وتكافله وتآزره، فهدم الكثير من المساجد واستولى على الأوقاف، فأحدث بذلك صدمة كبيرة على نفسية الجزائريين الذين عبروا بشتى الطرق على رفض هذا الوضع، ومناهضة السياسة الاستعمارية الظالمة تارة بالمقاومة المسلحة التي تزعمها شيوخ الزوايا والعلماء وزعماء القبائل، وتارة بالعمل الإصلاحي والطرق السياسية ابتداء من أواخر القرن التاسع عشر إلى بدايات القرن العشرين، لكن أساليب المحتل الماكرة وسياسته التضليلية جعله يجلب إلى صفه بعض ضعاف النفوس وأصحاب الأطماع الشخصية، وظنوا أن فرنسا لا تقهر وأن المصلحة في الوقوف بصفها على حساب الدين والوطن فباؤوا وخسروا وصاروا محل ذم من التاريخ.

وبتراكم الرفض النفسي والاجتماعي للسياسة الاستعمارية العنصرية الظالمة، ظهرت بعض الجهود الإصلاحية التي حاولت تغيير المجتمع والنهوض به وتخليصه من الوضع الذي أوقعه فيه المستدمر الفرنسي، وانتشاله من الوحل

الذي أوقعه فيه دعاة المدنية الغربية الذين باسم التحرر والتحضر داسوا على كرامة الشعوب وعاثوا فيها ظلما وفسادا.

إن تلك المحاولات والجهود الإصلاحية رغم أنها قليلة وفردية لكنها تعد حلقة مهمة في سلسلة المقاومة المتنوعة للأمة الجزائرية أمام المشروع الاستعماري الخطير الذي استهدف اجتثاث المجتمع من جذوره، وقد تميزت تلك الأعمال الإصلاحية -على تفرقها وفرديتها- بالاستمرارية، يحمل لواءها في كل مرة علماء ومفتون وأئمة المساجد ومدرسون، كما تميزت بنظرتها الواقعية واحتكاكها بشرائح المجتمع الجزائري، واتسمت بالحكمة ولم تدخل في صراع مباشر مع المستعمر إلى في القليل النادر، وعملت ميدانيا من خلال الخطب والدروس والمحاضرات والأنشطة الاجتماعية المختلفة، وأثمرت فيما بعد العمل الإصلاحي الجماعي المتكامل الذي جمع شتات الأعمال الإصلاحية الفردية في مؤسسة منظمة معتمدة، كما أثر الإصلاح حتى في أدبيات النضال السياسي الذي كانت تقوم به النخب الجزائرية المثقفة والتي كان لها هي الأخرى الأثر في نضج المجتمع الجزائري وتحوله وانتفاضته الكبرى التي انتزع بها سيادته واستقلاله[1].

نشأة الشيخ ابن الموهوب وتكوينه العلمي:

محمد المولود بن محمد السعيد بن الشيخ المدني بن العربي بن مسعود بن عبد الوهاب سليل أبي عبد الله البركة الموهوب، من رجال الإصلاح الاجتماعي البارزين في الجزائر[2]، ولد سنة 1283 هـ/ شهر أوت 1866م بمدينة قسنطينة من أسرة معروفة بالعلم والدين والمكانة الاجتماعية، درس في مسقط رأسه قسنطينة التي كانت من الحواضر العلمية عبر التاريخ الإسلامي حتى لقبت

1 - المولود بن الموهوب ودوره الثقافي والإصلاحي، مذكرة الماستر، إعداد الطالبين: بشينية أحمد وفيان رشيد. http://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=636902

2- الزركلي، **الأعلام**، ج:7، ص:333 - عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1400هـ/1980م، ص:324.

بمدينة العلم والعلماء، وكان من أساتذته الشيخ عبد القادر المجاوي أحد رجال النهضة الملقب بشيخ الجماعة، وقد أجازه في فنون اللغة العربية والمنطق وأصول الدين، وغير ذلك من العلوم الإسلامية، وبالإضافة إلى تضلعه في علوم اللغة العربية وآدابها فقد كانت له معرفة بالثقافة بالفرنسية. قضى جلّ حياته في قسنطينة مع بعض الأسفار القليلة إلى أن توفي بها سنة 1349هـ/1930م.

وقد تأثر الشيخ ابن الموهوب ببعض علماء الإصلاح في المشرق وبخاصة الشيخ محمد عبده شيخ الأزهر والمجدد المعروف الذي زار الجزائر سنة 1322هـ/ 1903م[1]، ثم جاء إلى قسنطينة في زيارة خاطفة، وكان قد استقبله مع بعض علماء قسنطينة، منهم الشيخ حمدان الونيسي. وكان الشيخ ابن الموهوب من المعجبين بالشيخ محمد عبده، كما يظهر ذلك من خطبته عند توليه مهمة الإفتاء سنة 1908م من قبل الإدارة الفرنسية[2]. كما تأثر بالشيخ عبده أيضا علماء جزائريون آخرون كالشيخ محمد بن الخوجة الكمال وعبد الحليم بن سماية وعمر بن قدور وعمر راسم وغيرهم، بل إن بعضهم تأثر به قبل زيارته للجزائر من خلال تتبعه للمنار[3]، كما بقيت لبعضهم مراسلات معه حتى بعد الزيارة[4].

لقد كان الشيخ ابن الموهوب محترما من قبل العديد من الشيوخ والعلماء، وكانت له علاقات ومراسلات علمية وطيدة مع بعضهم من داخل الجزائر

1 - المهدي البوعبدلي، جوانب مجهولة من آثار زيارة محمد عبده للجزائر، مجلة الأصالة، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية، العدد 54 /55، السنة السابعة، ربيع الأول- ربيع الثاني 1398هـ/ فيفري – مارس 1978م، ص:72.

2 - أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار البصائر، الجزائر، ط9، سنة 2009م، ج:5، ص:590.

3 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:5، ص:592.

4 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:3، ص:593.

وبخاصة الشيخ محمد بن يوسف أطفيش المتوفى سنة 1914م[1]، ومنهم الشيخ إبراهيم العوامر من قضاة وادي سوف ومن المؤلفين في التاريخ والتصوف والمتوفى سنة 1934م.

وبعد عمل طويل من العطاء والتضحية والجهد المتواصل، توفي الشيخ المولود بن الموهوب بمدينة قسنطينة في 20 أفريل 1939م، ودفن بمقبرتها المركزية رحمه الله تعالى.

ابن موهوب والإدارة الفرنسية:

فضل الشيخ المولود بن الموهوب أن لا يدخل في صراع مباشر مع السلطة الفرنسية، متأثرا في ذلك بشيخه عبد القادر المجاوي، فاختار أن يعمل في إطار قوانينها بما يحقق أهدافه الإصلاحية عبر نشاطاته المختلفة في المساجد والنوادي. فوظيفته الرسمية وتعيينه من قبل السلطة الفرنسية جعل المستعمر يتغاضى عن نشاطه الإصلاحي الاجتماعي ودروسه العلمية المتنوعة التي كان يرى أنها لا تشكل عليه خطرا. ومع ذلك فقد كان هو وعلماء عصره يستنكرون بعض التصرفات الاستعمارية التي فيها مساس بالدين الإسلامي والكرامة الإنسانية، فكانوا يخاطبون المستعمر عن طريق اللوائح والبيانات التي تتضمن المطالبة بالحقوق وحفظ كرامة الجزائريين.

ابن موهوب والتدريس والإفتاء:

منصب الإفتاء والتدريس في مدينة قسنطينة لا يتولاه عادة إلا العلماء المشهود لهم بالعلم الذين لهم قبول بين الناس، والمكانة العلمية للشيخ ابن الموهوب وتلقيه العلم عن مشايخ معروفين جعله يتقدم إلى الإفتاء والتدريس، فاشتغل مدرساً بالمدارس والمساجد بقسنطينة، وبخاصة بالمدرسة الكتانية بقسنطينة عام 1895م[2].

1 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:3، ص:268.

2 - عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، ص:324.

اشتغل بالتدريس بصفة رسمية بالمدرسة العربية الشرعية الفرنسية بقسنطينة التي كان افتتاحها سنة 1851م[1]، وهي إحدى المدارس الثلاث التي أنشأتها الإدارة الفرنسية بتلمسان والمدية التي حولتها إلى الجزائر العاصمة بموجب المرسوم المؤرخ في 30 سبتمبر 1850م[2]، وكان هدف فرنسا من ذلك إنشاء جيل موال لها متشبعا بثقافتها الغربية، إلا أن الأساتذة الجزائريين المدرسين بها سخّروا وظيفتَهم الرسمية بها لخدمة قضايا الإصلاح بطريقة لا تثير انتباه الرقابة الفرنسية.

ولم يكن تولي الشيخ ابن الموهوب للتدريس في المدرسة الفرنسية موالاة للمستعمِر كما يتهمه البعض وحتى وإن تخرج منها مثله مثل شعيب بن علي ومحمد بن شنب الذين كانوا أصحاب مواهب متميزة، فقد وجدنا مشاهير مشايخ وعلماء الإصلاح الجزائريين درّسوا في المدارس الفرنسية، كالشيخ حسن بن بريهمات والشيخ عبد الحليم بن سماية والشيخ محمد السعيد بن زكري والشيخ عبد القادر المجاوي[3]، وهذا الأخير الذي هو أبرز أساتذتها ورغم تخرجه من القرويين فقد قبل بالوظيفة الرسمية[4]، فهؤلاء المشايخ كانوا يمارسون الإصلاح والتربية وإعداد النشئ من خلال هذه المدارس الشرعية الفرنسية التي أتت ثمارها فيما بعد.

وقد خرّجت المدرسةُ العربية الفرنسية الشرعية قضاة وفقهاء والعديد من النخب الجزائرية بثقافة مزدوجة ومتنوعة، وبعقلية علمية، واستفادت منهم الجزائر في المقاومة السياسية والفكرية والكفاح المسلح فيما بعد، ومن

1 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:3، ص:127.

2 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:3، ص:370و374 - المهدي البوعبدلي، **جوانب مجهولة من آثارزيارة محمد عبده للجزائر**، مجلة الأصالة، تصدرعن وزارة الشؤون الدينية، العدد 54/55، السنة السابعة، ربيع الأول- ربيع الثاني 1398هـ/فيفري – مارس 1978م، ص:73.

3 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:3، ص:402.

4 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:8، ص:11.

أبرز المتخرجين منها مالك بن نبي، الذي نبغ بعد أن ذهب إلى فرنسا وتفجرت عبقريته هناك[1].

اشتغل الشيخ ابن الموهوب بصفة رسمية بتدريس البلاغة والأدب، وهي نفس المادة التي تولى تدريسها الشيخ عبد الحليم بن سماية بالجزائر العاصمة[2] كما كُلف بتدريس مادة «الفقه الإسلامي» ومادة «إنشاء الوثائق الشرعية» مع نخبة من العلماء كالشيخ عبد القادر المجاوي الذي درّس النحو والصرف والشيخ محمود بن الشاذلي الذي درس التوحيد[3].

ثم عُين الشيخ ابن الموهوب إماما ومدرسا رسميا بالجامع الكبير الذي سبقه إلى الخطابة فيه محمد الصالح بن مهنا[4]، وهو أحد الجوامع الكبيرة بقسنطينة حيث يقع بين الساحة المسماة البطحاء وسوق الجلود، وتمر به «طريق الجديدة» على حد تعبير القسنطنيين، وقد هدم جزء منه لإنشاء الحي الأوروبي ومعه الطريق[5]، وكان يدرّس فيه أيضا الشيخ حمدان الونيسي الذي تم تعيينه فيه سنة 1880م ولا يكاد عمره يتجاوز الخامسة والعشرين[6]، ولا يُعلم سبب عزل الشيخ الونيسي وبقاء الشيخ ابن الموهوب[7]، ثم عُين الشيخُ عبد المجيد بوجمعة المدرسُ بالمدرسة الشرعية الفرنسية محل الشيخ الونيسي في التدريس بالجامع الكبير بوجود المفتي ابن الموهوب الذي يُجهل هل كان هذا التعيين بإرادته ورضاه أو كان فوق إرادته[8].

---

1 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:3، ص:402.

2 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:8، ص:67.

3 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:3، ص:390.

4 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:8، ص:111 - الزركلي، **الأعلام**، ج:7، ص:333.

5 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:5، ص:82.

6 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:3، ص:130و131.

7 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:3، ص:138.

8 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:3، ص:142.

ثم تولى الإفتاء على المذهب المالكي عام 1908م بتعيين من الإدارة الفرنسية، وصار معروفا بين الناس[1]، وقد ألقى في ذلك خطبة بمناسبة تعيينه اعتنى بنشرها والتعليق عليها الأستاذ الكبير أبو القاسم سعد الله.

ابن الموهوب وإسهاماته الاجتماعية:

أسّس الشيخ ابن موهوب نادي صالح باي بقسنطينة وترأسه، فكانت له فيه نشاطات علمية وثقافية واجتماعية متنوعة[2]، إضافة إلى نشاطاته في الجمعيات والنوادي الأخرى التي رخصت الإدارة الفرنسية بإنشائها، وكان الشيخ ابن الموهوب وغيره من العلماء يلقون فيها المحاضرات في موضوعات تتصل بالتوعية ومعالجة الانحرافات السلوكية للشباب والحث على العمل، كما تضمنت قضايا الفكر المعاصر من تراث وطب وأدب وتاريخ وغيرها[3].

وكانت كتابته في الجرائد ومقالاته في الصحافة وخطبه ودروسه في المساجد والنوادي في قضايا الإصلاح الاجتماعي والحركة ذات أثر فعال. فاغتنم حسنَ علاقتَه بالإدارة الفرنسية في تكثيف جهده الإصلاحي في التدريس والإفتاء والاحتكاك بالناس من خلالهما، وتعليم أبناء الجزائريين وتربيتهم، وإلقاء الدروس لعامة الناس لتوعيتهم وتثقيفهم، فكان جهده الذي بذله حلقة مهمة في المسار الإصلاحي للمجتمع الجزائري، ومؤثرا في بعض رجال الإصلاح الذين كان منهم بعض المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبخاصة المصلح الجزائري المعروف الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي قاد الحركة الإصلاحية فيما بعد على خطى من سبقه متأثرا إلى حد بعيد بمنهجهم.

---

1 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:3، ص:390 - عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، ص:324.

2 - عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، ص:324.

3 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:5، ص:111.

ابن الموهوب والشيخ عبد الحميد بن باديس:

يعد الشيخ ابن باديس امتدادا للحركة الإصلاحية التي قادها مشايخ كبار أمثال الشيخ عبد القادر والمجاوي وبن سماية، كما تعلم من الشيخ المولود بن الموهوب الذي حضر دروسه وتأثر بمنهجه الإصلاحي.

وعلاقة الشيخ ابن باديس بشيخه ابن الموهوب لم تكن دائما حسنة، ولم ينسجم معه في كل الأحوال[1]، ومع ذلك لم تخرج العلاقة بينهما عن حدود أدب العلماء، ويذكر ابن باديس في أحد مقالاته بأنه بعد أول قدومه من الحجاز قام الشيخ ابن الموهوب بمنعه من التدريس في الجامع الكبير[2]، ربما لأن ابن باديس في نظر ابن الموهوب لا يزال غير مؤهل ليقوم بالتدريس في الجامع الكبير الذي هو من أهم مساجد قسنطينة خاصة وأنه تحت الرقابة الشديدة من الإدارة الفرنسية، أو أنه ليس له ترخيص إداري يسمح له بمزاولة الدروس المسجدية أو ربما يكون الشيخ ابن باديس فيه شيء من الحماس فيفسد عليه ما بناه من العمل الإصلاحي فيعطي فرصة للإدارة الفرنسية في التدخل ومن ثم منع الدروس في المساجد، وتبقى هذه احتمالات واردة، إلا أن السبب الرئيسي يظل مجهولا، لأن الشيخ ابن باديس لم يذكر في مقاله السبب الذي جعل الشيخ ابن الموهوب يمنعه من التدريس. وقد اضطر الشيخ ابن باديس لطلب الترخيص من الإدارة الفرنسية بوساطة من والده للتدريس بالجامع الأخضر.

ومع ذلك فالشيخ ابن باديس يكنّ احتراما كبيرا لشيخه وأستاذه المولود بن الموهوب، ويقدر فيه علمَه ومكانتَه وجهدَه الإصلاحي، وما قدمه للمجتمع الجزائري، ولا أدلّ على ذلك من استفادة الشيخ ابن باديس من التجربة الإصلاحية التي خاضها ابن الموهوب التي هي امتداد لمن قبله من العلماء

1 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:3، ص:314و315.

2 - في مقال عنوانه: (نحن و "النجاح")، الشهاب، ج:7، م:10، ربيع الأول 1353هـ/ 14 جوان 1934م – آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ط1، سنة 1415هـ/1995م، ج:6، ص:115و116.

وبخاصة الشيخ عبد القادر المجاوي، والتي نفعته كثيرا في رسم خطة واضحة للعمل التغييري والإصلاحي، وفي تجنب الدخول في صدام مع الإدارة الفرنسية والعمل في إطار قوانينها حفاظا على ديمومة النشاط والعمل في هدوء لترسيخ القيم الدينية والوطنية، ولتكوين قاعدة شعبية عريضة مثقفة وواعية بقضيتها الوطنية ومدركة لخطورة المشروع الاستعماري، وملتفة حول قياداتها العلمية ونخبها الوطنية.

ابن الموهوب وجهوده الإصلاحية:

إن الشيخ المولود بن الموهوب أحد أبرز الذين حملوا لواء هذه التجربة الإصلاحية بالجزائر في مطلع القرن العشرين، ومن الذين انطلقوا في دعوتهم الإصلاحية بصوت قوي، فوجد من يسانده في ذلك من العلماء والمشايخ[1]، وهو من الذين ظهرت على أيديهم الخطب والمحاضرات الإصلاحية[2]، ومهدوا لدور الحركة الإصلاحية التي تزعمها الشيخ العلامة الإمام عبد الحميد بن باديس ورفقاؤه فيما بعد. ساعد ابنَ الموهوب في ذلك عائلتُه ذات الوزن الثقافي والديني والسياسي، و نشأته بقسنطينة ذات البعد التاريخي والعلمي، وشيوخه الذين درّسوه وتركوا فيه الأثر الطيب في ميله نحو الاتجاه الإصلاحي، كما كان شاهدا على شدة الظلم الاستعماري للأهالي الجزائريين، ومآسيهم الاجتماعية من جهل وفقر وذلة؛ وإحباط الكثير منهم واستسلامهم وإذعانهم للاستعمار الفرنسي. وقد أعانته ثقافته المزدوجة بين العربية و الفرنسية انطلاقا من دراسته و تدريسه بالمدرسة الشرعية الفرنسية بقسنطينة على القيام بالعمل الإصلاحي بهدوء دون أن يثير ويحرج الإدارة الفرنسية، محاولا تغيير أوضاع مجتمعه، مستغلا وظيفته الرسمية، التي كانت وسيلة لمخاطبة مجتمعه

1 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:7، ص:173.

2 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:8، ص:107.

فجمع بين عدة خصائص: أستاذا وخطيبا ومفتيا وصحفيا[1]، فكتب مقالات كثيرة في عدة صحف، منها جريدة «كوكب إفريقيا» وجريدة «الإقدام» وجريدة «الصديق»[2] وجريدة «المغرب» التي ضمت أقلاما أخرى كمصطفى الشرشالي وابن سماية والمجاوي[3]، وهذه ميزة تحسب لرجال الإصلاح آنذاك حيث تنوعت مهامهم وتعددت مواهبهم.

إن الدراسة العميقة لجهود الشيخ المولود بن الموهوب الإصلاحية، تبين أنها تمهيد للحركة الإصلاحية الباديسية، فهناك تشابه كبير بين منهج الرجلين، حيث تركز في الأعم على الجانب الاجتماعي والثقافي[4]، إلا أن الإصلاح تبلور أكثر ونضج بشكل واضح وبأهداف مخطط لها عن طريق العمل الجماعي المنظم للعلماء والمشايخ عبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

خصائص ومميزات الإصلاح عند الشيخ ابن الموهوب:

تتجلى خصائص ومميزات العمل الإصلاحي عند ابن الموهوب في الآتي:

1. الواقعية:

رغم انتماء الشيخ ابن الموهوب إلى فئة المحافظين، وتقلده للوظائف الرسمية، فقد تميز عمله الإصلاحي بالواقعية، مما جعل الكثير من الباحثين وعلى رأسهم شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله يعده زعيما لفئة المحافظين خلال تلك الفترة، فكان يخاطب مجتمعه من خلال المنابر التي أتيحت له، كالمسجد والصحافة والنوادي، بتذكيره بحقوقه المشروعة، وخطورة ما آل

---

1 - بشينية احمد و حفيان رشيد، **المولود بن الموهوب ودوره الثقافي و الإصلاحي**، مذكرة الماستر، http://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=636902

2 - عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، ص:324.

3 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:8، ص:69.

4 - بشينية احمد و حفيان رشيد، **المولود بن الموهوب ودوره الثقافي و الإصلاحي**، مرجع سابق.

إليه وضعه، مشخصا مواطن الداء، وواصفا العلاج لذلك الواقع بحكمة وبعد نظر.

2. البعد الديني:

ركز الشيخ ابن الموهوب ضمن برنامجه الإصلاحي على تصحيح ما تشوه من أحكام الدين الإسلامي، وتذكير الناس بما نسوه من تعاليمه السمحة، محاربا في الوقت ذاته مظاهر الشرك والبدع والشعوذة والخرافات، والتي انتشرت بعامل سياسة التجهيل الاستعمارية، والطرق الصوفية المنحرفة التي كان يستعملها المستعمر وسيلة للتضليل وترسيخ ثقافة التواكل والاستسلام والرضا بفرنسا، كما تبرزه قصيدته «المنصفة».

لقد أيقن الشيخ ابن الموهوب وغيره من المصلحين أن الإصلاح يبدأ في الأساس بتوجيه الناس إلى الالتزام السليم بأحكام الدين، ونشر تعاليمه السمحة، وتصحيح العقيدة، وربط الناس بكتاب ربهم تعالى وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم. وكان لذلك بالفعل أثره الطيب في تقوية شخصية الفرد الجزائري، واسترجاع ثقته بالله تعالى والثقة بالنفس، والتخلص من العقد النفسية وبخاصة عقدة النقص تجاه فرنسا العنصرية المدعية للمدنية والتطور.

3. التربية والتعليم:

ركّز الشيخ ابن الموهوب في جهوده الإصلاحية على التعليم، فاهتم كثيرا بتربية أفراد المجتمع وتعليمهم، وعلاج أمراضهم السلوكية. واتخذ من التعليم والدروس العامة وسيلة للإصلاح والتربية[5]، أي طريقا آمنا للاحتكاك بكل فئات الشعب الجزائري، دون أن يثير ذلك شكوكَ الإدارة الفرنسية. فكانت المدرسة طريقه الأمثل في تحقيق أهدافه الإصلاحية.

---

5 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:3، ص:390.

وكاد يتفق رجال الإصلاح آنذاك على أن العلم هو السبيل الأساس في التغيير والنهوض بالمجتمع الجزائري وتنمية الوعي لديه.

وهذا السبيل الذي سلكه لا يخرج في مجمله عن خط جماعة المحافظين لكن الذي تميزبه ابن الموهوب أنه اهتم بالجانب العملي غيرمقتصرعلى الخطب والاجتماعات والتنظير، مستغلا في ذلك كونه مرسما لدى الإدارة الفرنسيةرغم شدة رقابتها لتحركات العلماء والنخب الوطنية[1].

4. تجنب الصدام مع الإدارة الفرنسية:

اتصف ابن الموهوب بالحكمة في التعامل مع السلطة الفرنسية، دون أن توظفه لأهدافها الاستعمارية كما يشاع عنه وعن بعض العلماء الرسميين. إن تحركاته ونشاطه الدؤوب لم يكن يقلق الإدارةَ الفرنسية، إذ كانت تعتبره واحدا من موظفيها الرسميين، لذلك لم تمنعه من الدروس والخطابة والإفتاء، بل كان ذلك كله بترخيص منها، فقد كان يدعو إلى العلم والاستفادة من النهضة الحديثة، والأخذ بمحاسن الحضارة الأوروبية، والمحافظة على الشخصية الجزائرية المسلمة. بل إن الشيخ ابن الموهوب وظّف إتقانه للغة الفرنسية في محاورة ومجادلة المستعمرين والمستشرقين دفاعا عن قضايا الإسلام المختلفة[2].

إن ما كان يثيره ابن الموهوب في عمله الإصلاحي أصبح له عظيم الأثر في تنامي الوعي والاستعداد النفسي لدى فئات لا بأس بها من الجزائريين، وممهدا لمرحلة أخرى من المقاومة غير المسلحة، المتمثلة في تحول العمل الإصلاحي من الفردية المتفرقة إلى الجماعية المنظمة على أيدي خريجي هذه المدرسة، ثم استثمرت تلك الأرضية التي بناها الإصلاحيون من قبل قادة العمل المسلح الذي بلورته ثورة نوفمبر الكبرى[3].

1 - بشينية أحمد و حفيان رشيد، **المولود بن الموهوب ودوره الثقافي و الإصلاحي**، مرجع سابق.

2 - عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، ص:324.

3 - بشينية أحمد و حفيان رشيد، **المولود بن الموهوب ودوره الثقافي و الإصلاحي**، مرجع سابق.

ابن الموهوب والشعر والأدب:

إضافة إلى ضلوعه بعلوم الشريعة كالفقه والعقيدة، فقد كان الشيخ ابن الموهوب أديبا متذوقا لفنون الشعر، فلا عجب أن يكلف بتدريس فنون الأدب في المدرسة الشرعية الفرنسية[1]، فكان يقيد الأشعار التي تمتاز بالمعاني الجميلة والمحسنات اللغوية في كراريسه الخاصة التي اطلعت على بعضها، ومع ذلك لم يترك ديوان شعر، وبعض المصادر والدراسات التي ترجمت له تذكر بأنه كان له شعر، لكن الذي هو ثابت عنه هو قصيدته المعروفة بـ «المنصفة» التي نشرت بجريدة كوكب إفريقيا (8 إبريل 1910)، وهي أهم ما بقي من شعره، وقد حظيت باهتمام الباحثين والأدباء والمشتغلين بالشعر.

كما كان ابنُ الموهوب ينظم أشعارا مدرسية للتلاميذ لينشدوها ويغنونها على ألحان السيد بسطانجي على حد تعبير الأستاذ والمؤرخ أبو القاسم سعد الله[2]، وهو من أوائل من بدأها قبل الحرب العالمية الأولى، وهذه الأناشيد المدرسية هي في العادة توضع للتربية الأخلاقية وتذكي الروح الدينية والوطنية، وكانت تنشد بأصوات جماعية وألحان، ثم اشتهرت بها مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حيث حملت معان تربوية واجتماعية وسياسية[3].

وقصيدة «المنصفة» تعتبر أهم ما تركه الشيخ ابن الموهوب، ويمكن أن تُعد بداية للشعر الإصلاحي في الجزائر، ذلك الشعر الذي وُظّف في الدعوة إلى الخير والنهي عن الفساد وتطهير المجتمع من الخرافات والبدع[4] وتوعية المجتمع بقضاياه الوطنية.

---

1 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:3، ص:390 - عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، ص:324.

2 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:5، ص:316.

3 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:8، ص:302.

4 - عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، ص:324.

والمتأمل في البناء العام للقصيدة، يجدها قصيدة قوية الروح الإصلاحية لكنها ضعيفة الشعر، والشاعر يحاكي الشعر القديم من حيث المبنى العام ويعارض قصيدة من قصائده المشهورة وهي معلقة عمرو بن كلثوم، وفيها ميل واضح إلى التكلف نوعا ما في الأخذ بالمحسنات البديعية، كالجناس، والطباق والتورية. والقصيدة بسيطة من حيث أسلوبها ولغتها، وكأنها وجهت إلى الجمهور العريض، ولعل هذا الذي جعل لها قبولا بين الناس، إلا أنها تحمل في طياتها معان نبيلة وأفكار سامية وأغراض دعوية متنوعة كالدعوة إلى الإسلام والحث على الآداب الفاضلة ومحاربة الخرافات، وقد شكا فيها ابن الموهوب تقلب الأحوال حين ارتفع من لا يستحق ذلك وانخفض أهل الفضل، وانتشار الجهل بين أفراد الشعب، وإصابته بأمراض كثيرة، وذكر أن طريق الخلاص هو العلم واليقظة وتخليص الإسلام مما شابه، دون أن يتعرض في قصيدته لفرنسا أو يتدخل في الشؤون السياسية[1]. والجدير بالذكر أن الموضوعات التي تناولتها هذه القصيدة وغيرها من الشعر الإصلاحي كشعر ابن قدور والزريبي - اللذين كانا أكثر منه شاعرية - تبلورت واتضحت أكثر في شعر محمد العيد آل خليفة وأبي اليقظان والعقبي والزاهري[2].

آثاره:

له عدة مؤلفات منها:

1. «مختصر الكافي في العروض والقوافي».

2. نظم شرح الكافي المسمى بـ «التبر الصافي»، وقد قام الشيخ إبراهيم العوامر بوضع شرح على هذا النظم سماه: «مواهب الكافي على التبر الصافي»[3]، وقد غلب على هذا الشرح الأسلوب الديني كما ذكر ذلك أبو القاسم سعد الله[4].

1 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:8، ص:260.

2 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:8، ص:258و259و260.

3 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:8، ص:192.

4 - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:8، ص:164.

3. «نظم الأجرومية».

4. (شرح منظومة التوحيد) لشيخه عبد القادر المجاوي[1].

القصائد:

1. قصيدته «المُنصِفة»

صعودُ الأسفلينَ به دُهينا ** لأنّا للمعارف ما هُدينا
رمتْ أمواجُ بحر اللهوِ منا ** أناساً للخمور مُلازمينا
فكم أكل العُقارُ عِقارَ قومٍ ** أصولُهمُ له أفْنَوا سنينا
وكم ساق الكحولُ إلى أناسٍ ** كحيلاً مثل جمعهمُ أُهينا
وكم رقَمَ القمارُ على بيوتٍ ** ديونًا وَفْقَ قولِ الغالبينا
وكم داس الرّبا أعناقَ قومٍ ** ولولاه لسادوا مُنْعَمينا
نعم إنا شَقِينا إذ سُقينا ** كؤوسَ الجهل لكن ما روينا
نعم إنا شَقِينا إذ سُقينا ** فهل كنا لذلك سامعينا
يناديناالكتابُ لكل خيرٍ ** وإنا الفاعلون إذا نُهينا
فإنا الجاهلون إذا فعلنا ** وإنا الرَّاكنون إلى الذينا
وإنا الناكرون لكلّ برٍّ ** وزينتَنا تبيعَ التابعينا
وسل عنا السلاحفَ في غُرابٍ ** وأعطارًا تُراق وعائمينا
وسل «غابًا» لحكم الجنّ أضحى ** يقينًا كلَّ ضُرٍّ قد يقينا
وسل ذاك الحَمامَ لدى حمامٍ ** نذبّحه بلا اسمٍ عامدينا
وسل سِدْرًا به خِرَقٌ أُنيطتْ ** وغيرًا حيث نَفْزَعُ ناذرينا
وسل بِدَعًا نُبدِّعُ ناكريها ** ونحمل في إقامتها الديونا
ونفزع للخطوطِ لعلم غيبٍ ** فهل جئنا لعلمٍ فازعينا
ونطلب بالعزائم كنزَ أرضٍ ** ونُبْطِل نصرةً للكاذبينا
ألا يا قومُ ما الإسلامُ هذا ** وديـنُ الله ربِّ العالمينا

1 - الزركلي، **الأعلام**، ج:7، ص:333.

أتى الإسلامُ يأمرنا بعلمٍ ** وسيرٍ في المنافعِ ما حيينا
وجمعٍ بين دنيانا وأخرى ** تدبَّرْ قولَ خيرِ المرسلينا
ولو أنا تَدَبَّرْناه حقّاً ** لكنّا بالمحاسن آخذينا
تعالَوا للسعاداتِ اطلبوها ** بعلمٍ واتّقوا اللهَ المتينا
وحَثّ الكلَّ فاتّبعوه جمعًا ** ووحدانًا فكانوا الفائزينا
وكونوا النازلين بكلِّ أرضٍ ** وكونوا للمعارف ناشرينا
سلوا عن علمهم بغدادَ شرقاً ** وقرطبةً وأخْذَ الوافدينا
سلوا فاسًا وقاهرةً بُخارَى ** وبصرةَ تُبْصِروا الحقَّ اليقينا
سلوا حربَ الصليب فكم أفادتْ ** سواكم من علوم السالفينا
أعينوا واستعينوا واستفيدوا ** فوالي البِرِّ عونُ المسلمينا

2. طبت نفساً :

طبتِ نَفْساً هداك ذُلِّي إلى ما؟ ** يبرأ الصبُّ ذا الجفاء على ما؟
ما اصطباري نافعٍ، نفْع وصلٍ ** إنَّ للوصل لذةً ومقاما
فاعطفي مُنْيتي فوجدي بليغٌ ** وجمودُ العيون زاد اكتتاما
في قميص النُّحول لستُ بمُبْدٍ ** سِرَّ حبٍّ ولا شكوتُ كلاما
معدنُ العلم يشهد العدلُ مهما ** قلتُ والفضل من ندَاه تَرامى
شهد اللهُ أنني لمحبٌّ ** لكِ باثنين أرَّخت لي نظاما

الخطب:

خطبة ابن الموهوب عند توليته الفتوى بقسنطينة سنة 1908م

نص الخطبة[1]:

سادتي:

إن تفضلكم بالتنازل للاحتفال وبما أُنعمت به الدولة علي من منصب الإفتاء يزيدني شرفا، ويصغر لي كل شكر مني لذواتكم السعيدة، فأنا مع نهاية الاحترام والتبجيل أقدم لكم خالص تشكراتي الصادقة من صميم فؤادي أيها المحسنون الحاضرون.

ثم إذا كان هذا اليوم بجمعكم من أسعد أيامي كما هو الواقع، فأنا زيادة على ذلك(كذا) أعتبره مبدأ حياة أخرى ليست لي فقط حياة نشاط باشتراك واجتهاد، حياة اتفاق على تعليم وتعلم مع السير في طرق السداد، حياة تحصد شرورا زرعها ذوو الأغراض فانبتت الجنايات، حياة تؤلف بين القلوب وتغرس مودة صادقة في الشعوب، حياة يسير بها المسلمون مع كل مجاوريهم تحت راية المعارف المرفوعة بيد فرائصنا أم الجميع.

سادتي:

إذا كان المسلمون ضعفاء فالدولة الفرانصوية ليست ضعيفة مالا ومعارف ورجال، وإذا كان وصف التعصب المذموم ألصق بهم فإنما هو الجهل منهم وممن وصفهم به وإلا فالإسلام لا يأمر إلا بصالح الأقوال والأفعال، الجهل بالإسلام هو الذي أبعدنا عن الإسلام، الجهل بالإسلام هو الذي أفتى بالتأخر والرضى بالضرر العام الجهل بالإسلام هو الذي ألقى في قلوب الناس أن كل من خالف العادة المذمومة شرعا فهو حرام، الجهل بالإسلام هو الذي زرع

1 - مجلة الثقافة، إصدار وزارة الثقافة والسياحة- الجزائر، السنة الرابعة عشرة، صفر، ربيع الأول 1405هـ/ نوفمبر- ديسمبر 1984م- السنة الرابعة عشرة، عدد 84، ص164 إلى 173. وقد اعتنى بنشرها والتعليق عليها شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله رحمه الله في بعض كتبه.

التحاسد والتباغض(كذا) والتنافروالكبربين أبناء الإسلام، عصوا أباهم فخاب مسعاهم.

فهل يليق بي إذا قلت بعد هذا صبرا ؟ كلا، بل أقول قربا قربا، إعانة إعانة العلوم العلوم التربية التربية، الصنائع الصنائع، الوفاق الوفاق، فسيروا للتقدم تحت عدل فرنسا التي برهنت كثيرا على محبتها واحترامها للإسلام، واتركوا من يغركم ويغريكم بنسبة ما ليس من الإسلام للإسلام، فالأحوال تبدلت والعقول تنورت والمعارف كثرت، والثياب البالية ما نفعت، وكل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، كما يقول قرآن الإسلام، زينوا أفكاركم بالمعارف واتركوا النوم، يا قوم، فانه ليس أمس كاليوم، ولا تتكلوا على أن الصعود سعود، فمن ترك التعلم، واتكل على هذا فهو الجلمود، لان الزمان زمان سباق، وكل شيء له المعرفة صداق.

سادتي ..

إذا كان الجهل طعاما فقد أكلناه، وإذا كان ماء فقد شربناه، وإذا كان ثوبا فقد لبسناه، عشقناه وعظمناه، فحرمنا مما نتمناه، وأسفاه، علماؤنا في نصح العامة مقصرون، والعوام يقلدون ويفعلون، وهم في الحقيقة معذورون، لأنهم لا يعلمون.

يا إخوتي..

لا تقتلوا أنفسكم بالقنوط والكسل، فان الحياة الطيبة علم وعمل، ولينظر كل واحد منكم لغيره نظر الأخ المحب لأخيه، فمن لم يحيره ما حل من الأضرار بالمسلمين، فهو بعيد عن الإنسانية والدين، أقول هذا ولا أخاف لومة لائم، وما أنا إلا جزء(كذا) منكم، يسرني أن أرى نفسي معدودة من المدافعين لكل شر عنكم، فضعوا اليد في اليد متعاهدين متحالفين على محاربة الجهل والبدع اللذين كانا سببا في التأخر الحال بالمسلمين. أيها العلماء(كذا)، أيها المدرسون أيها الايمة، أيها الخطباء (كذا)، ازرعوا نافع نصحكم في عقول عامتكم، وإلا

فإنكم تموتون بموتهم كما يموتون بموتكم، فإن الدولة بأموالها ومدارسها المتنوعة في إعانتكم، ومنها الجمعية الخيرية الإسلامية التي ستكون الجامعة لشملكم، الرافعة لمجدكم، المحبة لخيركم، القاتلة لشركم.

فشكرا لرجال الدولة وشكرا لجناب المحترم الشيخ قورليو، رئيس المجلس الذي شرفنا بحضوره نيابة عن عاملا العمالة النايب(كذا) عن والي عموم الجزائر، ذلك(كذا) الشهم الذي لا زال يحسن تصرفه يؤلف بين القلوب بإعانة رجاله الصادقين.

فليعيش الخيرومحبوه وليمت الشروناشروه

المولود بن الموهوب